بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن الله -سبحانه وتعالى- قد تفضّل على عباده بشهر كريم، أعد لهم فيه من الأجور والخير العظيم، وبشّرهم بالمغفرة والعتق والنجاة من عذاب الجحيم. شهرٌ يحمل من نفحات الرحمات ما تنشرح به الصدور، وتأنس به القلوب.

يتسابق فيه المتلهفون للظفر بما وعد الله به من خفايا الأجور، يرجون تجارة لن تبور. هذا الشهر الذي من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. فيه تُصَفَّدُ الشياطين، وتفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النيران.

وعجباً لمن يفرط فيه؟! ويسوف في الأخذ بأسباب السبق فيما أعده الله -سبحانه وتعالى- للعاملين في هذا الشهر الكريم؟!

ونبينا -صلى الله عليه وسلم- قد حثنا على اغتنام الأوقات، والمواسم الفاضلات؛ لنيل أعلى المنازل والدرجات، قال -صلوات الله وسلامه عليه-:

"افعلوا الخير دَهْرَكم، وتعَرَّضُوا لِنَفَحَات الله، فإن لله نَفَحَات يُصيب بها من يشاء من عباده".

"افعلوا الخير دهركم" أي: استمروا في فعل الخير طوال الحياة، وتذكروا أن هنالك نفحات من الله -سبحانه وتعالى- في مواسم وأوقات وأيام وأماكن يجعل الله -سبحانه وتعالى- فيها فضلاً زائداً يصيب من يشاء.

هذه المواسم الفاضلة اغتنمها الصالحون، ففازوا بفضل الله -سبحانه وتعالى- ومرضاته، وقدوتهم في ذلك نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "وكان من هديه -صلى الله عليه وسلم- في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل -عليه السلام- يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور".

ثم تأمل معي -بارك الله فيك- كيف كان حال الصالحين؟ مؤتسين برسولهم -صلى الله عليه وسلم-؛

فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما جمع الناس على التراويح كانوا يصلون بالمئين -يعني بمئات الآيات- وكانوا لا ينصرفون في ليالي رمضان إلا قبيل الفجر.

فتأمل كيف كانوا إذا أطال الإمام؛ لا يريدون أن ينصرفوا من الصلاة؟ يعتمدون على العصي من طول القيام.

وأسوق لك بعض الصور المشرقة لسلفنا الصالح -عليهم رحمة الله-:

فهذا الإمام البخاري -رحمه الله- كان يختم في نهار رمضان كل يوم ختمة، ويقوم بالقرآن في التراويح كل ثلاث ليالي بختمة.

وهذا حماد بن أبي سليمان -رحمه الله- كان يُفطّر في شهر رمضان 500 إنسان.

وهذا الأسود بن يزيد -رحمه الله- كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين.

ويقول عمران بن حُدير -رحمه الله-: "كان أبو مجلز يقوم بالحي في رمضان يختم في كل سبع".

وهذا عبدالرحمن بن هرمز -رحمه الله تعالى- يقول: "كان القراء يقومون بسورة البقرة في ثمان ركعات، فإذا قام بها في اثني عشر ركعة رأوا أنه خفف عليهم".

وليس مقصدهم الإثقال والإكثار، وإنما كان مقصدهم اغتنام فضيلة هذا الشهر التي اختصه بها.

ولذلك قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: "إن الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته؛ فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون".

ومن جميل وصايا السلف في رمضان:

ما قاله أبو ذر رضي الله عنه: "إذا صمت فتحفظ ما استطعت".

ويقول جابر -رضي الله عنه-: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء".

قلت: أيُنا يفعل ذلك؟ وأيُنا يكون يكون كذلك؟ إلا من شاء الله -سبحانه وتعالى-.

وحريٌّ بالعبد المسلم أن يتذكر أن الأمل طويل، وأن الأجل قصير، وحريٌّ بالعبد المسلم أن يستشعر قصر هذه الأيام الفاضلة، فيجتهد في طاعة ربه، وأن يدافع شهوة نفسه؛ فكم من خاسرٍ فيها خيرًا كثيرًا بغفلته وتقصيره وركونه إلى الدنيا الفانية؟ يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام :32]

ومن طال أمله في هذه الحياة؛ فليقرأ هذا الخطاب، لعله أن يحيي قلبه، وأن ينير بصره. فالحياة أيام معدودة، ستنقضي ولو بعد حين؟! وغاية ما فيها هي: الآمال اللعب واللهو، وزينة الدنيا، والتفاخر فيها.

هذه غاية ما في هذه الحياة، فكم من معتبر لمثل هذا؟! وكم من ناظر ومتأمل فيما يكون حاله إذا انقضت هذه الحياة؟! فماذا قدّمتَ أخي لله -سبحانه وتعالى-؟! وماذا أخّرتَ من المعاصي والذنوب؟!

قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾. [القصص: 60].

وقال -جل وعلا-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾. [لقمان: 33]. وقال -جلّ وعلا-: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾. [آل عمران: 133].

وقال رسول الهدى -صلوات الله وسلامه عليه-: "إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها".

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ عَلَيْكُمْ".

أخي المؤمن؛ إن فضل الله -سبحانه وتعالى- واسع ولا يرد عن عباده، واغتنامك فرصة التوبة في مثل هذه المواسم الفاضلة هو أحرى بك من البحث عنها في غير هذه المواسم، وإن كانت التوبة واجبة في كل وقت، وفي كل موسم، يقول نبينا -صلى الله عليه وسلم-: "للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة".

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "إنّ الله يقبلُ توبة العبد ما لم يُغرغر".

فالله الله أخي في المسارعة بالتوبة والإنابة قبل أن يفجأك الأجل، ولا ينفعك الندم!

ورحم الله الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حين قال: "إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

فهيا معي أخي نغتنم هذه الشهر الفضيل وتعرض لنفحات الله، ونقبلُ على ربنا -سبحانه وتعالى- ونتوب إليه، ونكون من المنيبين المخبتين. فنتعاهد قلوبنا، ونهجر معاصينا، ونصلح أعمالنا، ونسأل ربنا التوفيق والتسديد، والإعانة على طاعته ومرضاته، ونستحضر قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧ ﴾ الشورى:47

وإليك هذه البشارة من رسولنا الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-: "مَن أحسن فيما بقي، غُفِر له ما مضى، ومَن أسَاء فيما بقي، أُخِذ بما مضى وما بقي".

أسال الله -سبحانه وتعالى- لي ولك الثبات حتى الممات، وأن يوفقنا وإياك لمرضاته، وأن يجعلني وإياك من الصالحين القانتين المصلحين الهاديين المهديين الذين -رضي الله عنهم-، وأن يجعلني وإياك من السابقين الفائزين بفضله، إنه -سبحانه وتعالى- جواد كريم، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

@Baynoonanet
www.baynoona.net

رمضان

شهر التوبة والإنابة

الشيخ
حامد بن خميس الخنيبي